المبحث الثالث
نماذج من أخلاقه مع أزواجه

والحديث في هذا المبحث في عدة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الخلق

الخلق لغة: بضم اللام وسكونها وهو الدين والطبع والسجية[١].

الخلق اصطلاحاً: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة خلقاً سيئاً[٢].

المطلب الثاني: توضيح وتفسير قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣]:

لقد أثنى الله على نبيه ﴿ﷺ﴾ في كتابه الكريم فامتدحه بخلقه الحسن فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وأبان شيئاً من أخلاقه في قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤] ولقد كانت أخلاق النبي

---

[١] لسان العرب، ج١٠: ص٨٦مادة (خلق).

[٢] التعريفات للجرجاني، ج١/ص١٣٦، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ج١ص٣٢٤.

[٣] سورة القلم:٤.

[٤] سورة التوبة:١٢٨.

﴿ﷺ﴾ مضربَ المثل في الجاهلية قبل بعثته، فقد عرف بالصادق الأمين، واشتهر بذلك، و لم يكن أحد ينكر ذلك، فقد نطق قومه بذلك لما جمعهم حين نزل قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١].

فجمعهم ﴿ﷺ﴾ وسألهم فقال:(أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟قالوا: ما جربنا عليك كذبا..)[٢].

وذكر الإمام القرطبي في سبب نزول قوله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣] .

قال مقاتل (نزلت في أبي جهل، وذلك أنه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد بن المغيرة، فتحدثا في شأن النبي ﴿ﷺ﴾، فقال أبو جهل: والله إني لأعلم أنه لصادق فقال له: مه وما دلك على ذلك؟ قال: يا أبا عبد شمس كنا نسميه في صباه الصادقَ الأمينَ، فلما تم عقله وكمل رشده نسميه الكذاب الخائن؟ والله إني لأعلم أنه لصادق، قال: فما يمنعك أن تصدقه وتؤمن به قال: تتحدث عني بنات قريش أني قد اتبعت يتيم أبي طالب من أجل كسرة واللات والعزى إن اتبعته أبداً)[٤].

فإذا كانت هذه أخلاقه قبل بعثته فكيف بها بعدما بُعث وأُرسل؟

---

[١] سورة الشعراء: ٢١٤.

[٢] سبق تخريجه .

[٣] سورة الجاثية: ٢٣.

[٤] تفسير القرطبي، ج١٦ص١٧٠.

ولقد كان للنبي ﴿ﷺ﴾ مع أزواجه أخلاقاً وصفات تجلت في حياته معهن، قد وصفنه وامتدحنه بها ولعلنا نقف على شيء من هذا المنهج والطريق الذي سلكه ﴿ﷺ﴾ مع أزواجه.

المطلب الثالث: المنهج والطريق الذي سلكه النبي﴿ﷺ﴾ في أخلاقه مع أزواجه، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: الاتصاف بكل ما هو محمود وممدوح من الأخلاق:

فقد كانت أخلاق النبي ﴿ﷺ﴾ عالية جداً، ففي كل خلق حسن من الأخلاق تجد النبي ﴿ﷺ﴾ قد امتُدح بها وأُثني عليه بها:

١/ كانت إجابة عائشة رضي الله عنها لما سألها سعد بن هشام بن عامر عن خلق النبي ﴿ﷺ﴾ قالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١])[٢].

٢/ عن أبي عبد الله (الجدلي) قال: قلت لعائشة رضي الله عنها كيف كان خلق رسول الله ﴿ﷺ﴾ في أهله؟ قالت: كان أحسن الناس خلقاً...)[٣].

فإذا كان هذا هو وصف أزواجه له بحسن خلقه، فلا تعجب فهو نبي هذه الأمة الذي ببعثته تممت وكملت الأخلاق الفاضلة **كما روى أبو هريرة ﴿رضي الله عنه﴾ قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[٤].**

---

[١] سورة القلم: ٤.

[٢] مسند أحمد بن حنبل، ج٦: ص٩١ قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح .

[٣] المرجع السابق، ج٦: ص٢٣٦قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي عبد الله الجدلي، صحيح ابن حبان، ج١٤:ص٣٥٥ رقم (٦٤٤٣).

[٤] سنن البيهقي الكبرى، ج١٠:ص١٩٢، مكارم الأخلاق للخرائطي، ج١ص١٢٦قال محقق الكتاب الشيخ/عبد الله الحميري: حديث حسن.

فكأن الأخلاق الفاضلة لم تكتمل إلا ببعثة النبي ﴿ﷺ﴾.

المسألة الثانية: البعد عن كل ما هو مذموم من الأخلاق ومن سفساف الأخلاق

لقد ربى النبي ﴿ﷺ﴾ أزواجه على البعد عن كل ما يُذَم من الأخلاق وما هو من سفساف الأخلاق وقبيحها، فتأمل هذه الأحاديث التي تصف ابتعاد النبي ﴿ﷺ﴾ عن كل ما هو قبيح من الأخلاق:

١/عن أبي عبد الله الجدلي يقول: سألت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقالت: (لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزئ بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح)[1].

وهذا الحديث يدل على بعد النبي ﴿ﷺ﴾ عن الفحش طبعاً وتكلفاً.

٢/ عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما ضرب رسول الله ﴿ﷺ﴾ شيئاً قط بيده، ولا امرأةً، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نِيل منه شيءً قط فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقمَ لله عز وجل)[2].

قال النووي: (فيه أن ضرب الزوجة والخادم والدابة وان كان مباحاً للأدب فتركه أفضل)[3]وما ذاك إلا من مكارم الأخلاق الذي وصف النبي ﴿ﷺ﴾ به نفسه، وكان عليه فعله.

---

[1] سنن الترمذي، ج٤:ص٣٦٩ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني: صحيح.

[2] صحيح مسلم، ج٤: ص١٨١٤ كتاب الفضائل باب مباعدته ﴿ﷺ﴾ للآثام.

[3] شرح النووي على مسلم، ج١٥ ص٨٤.

المسألة الثالثة: تربيتهم على الأخلاق الفاضلة

لقد سلك النبي ﴿ﷺ﴾ في تربية أزواجه على الخلق الحسن كلَّ مسلك، ورسم لهم كل طريق حسن موصل إلى أعالي الأخلاق الفاضلة، لأجل أن يسمو بالأخلاق الفاضلة والسجايا والطباع الكريمة.

ومن طبيعة النفس البشرية حبها وميلها إلى ذي الصفات والأخلاق الحسنة، وما كان عليه النبي ﴿ﷺ﴾ من معالي الأخلاق إلا طريق إلى القلوب، لأجل أن تجد مبتغاها ومرادها، ويتحقق قبولها لدعوته الحقة.

ولعلنا نذكر شيئاً يسيراً من أخلاقه ﴿ﷺ﴾ مع أزواجه[1] ليسير عليها، ويقصد تعلمها، والتعرف عليها كل من أراد المعالي في الدنيا والآخرة:

الخلق الأول: رحمته ﴿ﷺ﴾ بأزواجه

تعريف الرحمة

الرحمة لغة: الرقة والتعطف[2]وقيل: رقة تقتضي الإنعام على من رق له[3].

اصطلاحاً: صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها فهذه هي الرحمة الحقيقية[4].

لقد كان النبي ﴿ﷺ﴾ رحيماً بأمته، وبأزواجه خاصة، يتجلى ذلك في مواقف كثيرة في حياته منها:

---

[1] قصدت ذكر هذه الأخلاق لأنها من أبرز الأخلاق التي تتجلى في الحياة الزوجية وهي من باب التمثيل لا الحصر وهي موجودة في مظانها من الكتب التي تحدثت عن أخلاق النبي ﴿ﷺ﴾.

[2] لسان العرب، ج١٢: ص٢٣٠مادة (رحم).

[3] فيض القدير ج٢: ص٤٨٤.

[4] إغاثة اللهفان لابن القيم ، ١٣٩٥،ج٢:ص١٧٤.

١/عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلنا المزدلفة فاستأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل حطمة الناس[١]، وكانت امرأة بطيئة فأذن لها فدفعت قبل حطمة الناس، وأقمنا حتى أصبحنا نحن ثم دفعنا بدفعه، فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت سودة أحب إلي من مفروح به)[٢].

وهذا الحديث يبين كيف كانت رحمة النبي ﷺ بأم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها بالسماح لها بالدفع من مزدلفة ليلاً قبل انصراف الناس لكبر سنها ولثقلها، وهذه قمة الرحمة والشفقة والعطف على زوجه ﷺ.

٢/عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: (سبحان الله ماذا أُنزل الليلة من الفتن؟ وماذا فُتح من الخزائن؟ أيقظوا صواحبات الحجر، فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)[٣].

وهذا من رحمة النبي ﷺ بأزواجه وخوفه عليهن، كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[٤].

يقول ابن حجر رحمه الله: (وعبر عن الرحمة بالخزائن كقوله تعالى ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾[٥] وعن العذاب بالفتن لأنها سببه، والحجر هي منازل أزواج النبي ﷺ، وإنما خصهن بالإيقاظ من باب أبدأ

---

[١] حطمة الناس : زحمة الناس، فتح الباري، ج٣ص٥٣٠ .

[٢] صحيح البخاري، ج٢:ص٦٠٣، كتاب الحج، باب من قدم ضعفة أهله بليل فيقفون بالمزدلفة ويدعون ويقدم إذا غاب القمر.

[٣] المرجع السابق، ج١:ص٥٤، كتاب العلم، باب العلم والعظة بالليل.

[٤] سورة التحريم:٦.

[٥] سورة ص : ٩.

بنفسك، ثم بمن تعول. وموجب استيقاظ أزواجه أنه ينبغي لهن أن لا يتغافلن عن العبادة، ويعتمدن على كونهن أزواجَ النبي ﴿ﷺ﴾)[١].

وهذا من رحمته ﴿ﷺ﴾ بأزواجه .

٣/عن عائشة رضي الله عنها قالت:كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ (إذا دخل العشر، أحيا الليل وأيقظ أهله، وجد، وشد المئزر)[٢].

وهذا الحديث يتجلى فيه رحمة النبي ﴿ﷺ﴾ بأزواجه حيث حرصه عليهن في مواسم الخير كالعشر الأواخر من رمضان وهي ليال معدودة، فإيقاظه لأهله من باب الرحمة بهم للفوز بأعلى الدرجات، ونيل أعظم الثواب، وزيادة القرب من الله عز وجل.

وهذه هي التربية الحقيقية على الارتباط بمعالي الأمور من التعلق بالآخرة والالتفات إليها وعدم نسيانها وكم نرى من الأزواج والآباء من يهتم بأمور الدنيا فيما يصلح شؤونه وشؤون أهله وينسى أن يهتم بما هو مقدم عليه من أمور الآخرة فما أجمل الرحمة حين تتجلى برحمة الأهل في أمور الدنيا والآخرة.

الخلق الثاني: صبره ﴿ﷺ﴾ على أزواجه

ومن الأخلاق التي تجلت في حياته ﴿ﷺ﴾ خلق الصبر، والذي هو من أهم الأخلاق، فبه يتحلى ذو الخلق بأعالي الأخلاق الفاضلة والصفات الجميلة. وقد حث الله نبيه ﴿ﷺ﴾ بأن يتحلى بالصبر فقال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ

---

[١] فتح الباري ، ج١ ص٢١٠.
[٢] سبق تخريجه.

حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾[١] وأوصى الله نبيه ﴿ﷺ﴾ بأن يتحلى بالصبر اقتداءاً بالأنبياء من قبله فقال تعالى﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٢] وقال تعالى﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[٣]وقد امتدح الله الصابرين في آيات كثيرة، وبين أن العقبى الحسنة والطيبة لمن كان هذا خُلُقه فقال تعالى﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[٤].

وقبل البدء في ذكر أمثلة تدل على صبره ﴿ﷺ﴾ مع أزواجه نبين معنى الصبر:

تعريف الصبر

الصبر لغة: ضد الجزع وهو الحبس والاحتمال[٥].

الصبر اصطلاحاً: هو خلق فاضل من أخلاق النفس، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها[٦].

---

[١] سورة غافر: ٥٥.

[٢] سورة الأحقاف: ٣٥.

[٣] سورة الفرقان: ٢٠.

[٤] سورة الرعد: ٢٤.

[٥] لسان العرب، ج٤: ص٤٣٨ المعجم الوسيط، ج١: ص٥٠٥.

[٦] عدة الصابرين، ج١ ص٨.

وإذا تأملنا هذا الحديث النبوي عرفنا طبيعة المرأة، وكيف أن النبي ﴿ﷺ﴾ راعى هذه الطبيعة التي خلقها وفطرها الله عليها، لتصفو لنا الحياة.

عن أبي هريرة ﴿رضي الله عنه﴾ قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾:(استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء)[١]. **وفي رواية لمسلم: (وكَسْرُها طلاقها...)**[٢].

يقول الإمام ابن حجر رحمه الله: (قوله: "وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه" قيل: فيه إشارة إلى أن أعوج ما في المرأة لسانها)[٣].

وعلى هذا فمن المتوقع أن يقع من المرأة ما يدعو إلى الصبر عليها وتحمل ما يصدر منها اقتداءً بالنبي ﴿ﷺ﴾ الذي صبر وتحمل ما كان يأتيه من أزواجه رضي الله عنهن وإليك بعض الأمثلة في صبره ﴿ﷺ﴾ على أزواجه:

١/عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﴿ﷺ﴾: (إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى قالت: فقلت من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم، قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك)[٤].

---

[١] صحيح البخاري، ج٣: ص١٢١٢ كتاب الأنبياء باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته صلصال طين خلط برمل فصلصل، صحيح مسلم، ج٢ص١٠٩١ كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء.

[٢] صحيح مسلم، ج٢: ص١٠٩١ كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء.

[٣] فتح الباري، ج٦ ص٣٦٨.

[٤] صحيح البخاري، ج٥:ص٢٠٠٤ كتاب النكاح باب غيرة النساء ووجدهن، صحيح مسلم، ج٤:ص١٨٩٠ كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنهما.

وإذا تأملت هذا الحديث عرفت كيف كان صبره ﴿ﷺ﴾ على أزواجه، وتحمله لما يبدر منها وذلك بمعرفته لتلك الغرائز وتلك الطباع البشرية التي أودعها الله في المرأة ومع ذلك لم يكن النبي ﴿ﷺ﴾ ليتضجر ويغضب من عائشة رضي الله عنها بل كان صبورا ومتحملاً ومضاحكاً لها ، وهنا تبين صدق محبة النبي ﴿ﷺ﴾ لعائشة رضي الله عنها ومحبتها له ﴿ﷺ﴾، وقد صرحت بذلك (**ما أهجر إلا أسمك**) والقلب مملوء بمحبته وإجلاله وتقديره.

٢/عن عبد الله بن عباس ﴿رضي الله عنه﴾ قال: (لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر ﴿رضي الله عنه﴾ عن المرأتين من أزواج النبي ﴿ﷺ﴾ اللتين قال الله لهما ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[1] قال عمر فدخلت على حفصة فقلت: أي حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله ﴿ﷺ﴾ اليوم حتى الليل؟ فقالت: نعم...)[2].

وإن دل الحديث على شيء فإنما يدل على صبر النبي ﴿ﷺ﴾ على أزواجه حيث بينت حفصة رضي الله عنها لما سألها والدها عمر بن الخطاب ﴿رضي الله عنه﴾ عن هجرهن للنبي ﴿ﷺ﴾ إلى الليل، فأجابت بنعم.

فمحبة النبي ﴿ﷺ﴾ لأزواجه تجعله يصبر على ما يصدر منهن لتدوم الحياة والعشرة الزوجية وهذا من عظيم خلقه ﴿ﷺ﴾ ومن تربية أزواجه لمثل هذه الأخلاق.

٣/ عن النعمان بن بشير ﴿رضي الله عنه﴾ قال: (استأذن أبو بكر ﴿رضي الله عنه﴾ على رسول الله ﴿ﷺ﴾ فسمع صوت عائشة رضي الله عنها عالياً وهي تقول: والله

---

[1] سورة التحريم: ٤.

[2] صحيح البخاري ج٢ص٨٧١، كتاب المظالم، باب إماطة الأذى.

لقد عرفت أن علياً أحب إليك من أبي ومني مرتين أو ثلاثاً، فاستأذن أبو بكر فدخل فأهوى إليها[١]، فقال: يا بنت فلانة ألا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله (ﷺ)[٢].

وهذا الحديث يتبين فيه عظم صبر النبي (ﷺ) على أزواجه حيث كانت عائشة رضي الله عنها قد رفعت صوتها على النبي (ﷺ) تتهمه في محبة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وتقديم هذه المحبة على محبتها ومحبة أبيها فما كان من النبي (ﷺ) إلا الصمت والصبر.

الخلق الثالث: رفقه (ﷺ) بأزواجه

تعريف الرفق

الرفق لغة[٣] : ضد العنف وهو لين الجانب ولطافة الفعل.

اصطلاحاً: هو اليسر في الأمور والسهولة في التواصل إليها، وخلافه العنف، وهو التشديد في التوصل إلى المطلوب[٤].

ويعرفه ابن حجر يقول: (هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف)[٥].

---

[١] المراد بمعنى (فأهوى إليها) توضحه رواية النسائي (فأهوى إليها أبو بكر ليلطمها).

[٢] مسند أحمد بن حنبل، ج٤: ص٢٧٥ قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن من أجل يونس بن إسحاق، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح، سنن النسائي الكبرى، ج٥: ص ١٣٩.

[٣] لسان العرب، ج١٠: ص١١٨.

[٤] الفرق ج١: ص٢٤١

[٥] فتح الباري، ج١٠:ص٤٤٩.

لقد كان النبي ﴿ﷺ﴾ رفيقاً بأزواجه غاية الرفق كيف وهو الذي بين لنا فضائل الرفق ولننظر إلى هذه الأحاديث التي تبين عظيم خلق الرفق في حياة المسلم:

١/عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: (يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله..)[١].وفي رواية (إن الله رفيق يحب الرفق)[٢].

٢/وعن جرير البجلي ﴿رضي الله عنه﴾ عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال:(من يحرم الرفق يحرم الخير)[٣].

٣/و عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﴿ﷺ﴾ أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال:(يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه)[٤].

٤/وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﴿ﷺ﴾ عن النبي ﴿ﷺ﴾ قال:(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يترع من شيء إلا شانه)[٥].

٥/وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ :(إذا أراد الله عز وجل بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق)[٦].

---

[١] صحيح البخاري، ج٥: ص٢٢٤٢ كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، صحيح مسلم، ج٤: ص١٧٠٦ كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.

[٢] المرجع السابق، ج٦: ص٢٥٣٩ كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا أعرض الذمي وغيره بسب النبي ﴿ﷺ﴾ ولم يصرح نحو قول: السام عليكم.

[٣] صحيح مسلم، ج٤:ص٢٠٠٣ كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق.

[٤] المرجع السابق.

[٥] المرجع السابق.

[٦] مسند أحمد بن حنبل، مرجع سابق ج٦:ص٧١ قال الشيخ شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح.

حقاً لقد بينت لنا هذه الأحاديث أن الخير في الرفق، وأن الله عز وجل رفيق ويحب الرفق في كل الأمور، وأنه زينة لمن تحلى به والخير كل الخير لمن أدخل الله في بيته الرفق.

قال البستي في قصيدته المشهورة بـــ(عنوان الحكم)[١]

ورافق الرفق في كل الأمور فلم ... يندم رفيق ولم يذممه إنسان

وحياة النبي ﴿ﷺ﴾ الزوجية كلها مليئة بأمثلة يتبين منها هذا الخلق الفاضل الذي به تصفو الحياة بين الزوجين، وتدوم المحبة، وتستمطر به الرحمة.

فإليك بعض الأمثلة في رفقه ﴿ﷺ﴾ بأزواجه:

١/عن أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾ قال: أتى النبي ﴿ﷺ﴾ على بعض نسائه ومعهن أم سليم فقال: (ويحك يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير)[٢]وفي رواية (أرفق يا أنجشة..)[٣].

- لماذا سمى النبي ﴿ﷺ﴾ النساء بالقوارير؟[٤]
- قال العلماء: سمى النساء قوارير لضعف عزائمهن تشبيهاً بقارورة الزجاج لضعفها وإسراع الانكسار إليها، وقال قتادة: (يعني ضعفة النساء والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها، وقال الرامهرمزي: كنى عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة، والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية).

---

[١] قصيدة عنوان الحكم للبستي، ص٣٨.

[٢] صحيح البخاري، ج٥ص٢٢٧٨، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه.

[٣] المرجع السابق، ج٥:ص٢٢٩٤،كتاب الأدب، باب المعاريض .

[٤] فتح الباري، ج١٠ص٥٤٥، وشرح النووي على مسلم ،ج ١٥ص ٨١.

● لماذا نهى النبي ﴿ﷺ﴾ أنجشة عن الحداء ؟[١].

قيل في ذلك عدة أسباب:

١/كان حَسَنَ الصوت، وكان يحدو بهن وينشد شيئاً من القريض والرجز وما فيه تشبيب، فلم يأمن أن يفتنهن، ويقع في قلوبهن حداؤه ، فأمره بالكف عن ذلك.

٢/والقول الثاني: أن المراد به الرفق في السير، لأن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واستلذته فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك، لأن النساء يضعفن عند شدة الحركة، ويخاف ضررهن وسقوطهن.

وإذا أمعنا في هذا الحديث وتعليلات العلماء في طلبه من أنجشة الرفق بالنساء وهن أزواج النبي ﴿ﷺ﴾ إلا من باب الرفق بهن والحرص عليهن من جهة قلوبهن أو من الخوف عليهن من السقوط من الإبل إذا أسرعت العَدْوَ ،وهذا الحديث يبرز خاصية العاطفية لدى النساء .

٢/ وفي حادثة الإفك تحكي عائشة رضي الله عنها موقفاً هو من مواقف الرفق من النبي ﴿ﷺ﴾، قالت عائشة رضي الله عنها: (..فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي، أني لا أعرف من رسول الله ﴿ﷺ﴾ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﴿ﷺ﴾ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم ؟...)[٢].

---

[١] المرجع السابق.

[٢] صحيح البخاري، ج٤: ص١٥١٨كتاب المغازي، باب حديث الإفك، وهذا جزء منه.

في هذا الحديث تبين لنا عائشة رضي الله عنها رفق النبي ﴿ﷺ﴾ بها في حال المرض، فكأنها أحست بأن النبي ﴿ﷺ﴾ ليس على ما تعودت منه (...**أني لا أعرف من رسول الله ﴿ﷺ﴾ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي**) وهذا من كمال رفقه بأزواجه، ومع ذلك ما زال رفيقاً بها في مثل هذه الحال التي قد يهرب الزوج من زوجه إذا أشيع عنه مثل هذا الخبر فهو يأتي يسأل عنها كيف تيكم؟ ليطمئن على صحتها وهذا من علو خلقه.

٣/**عن أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾ قال:(كنا مع النبي ﴿ﷺ﴾ مَقفَله من عسفان ورسول الله ﴿ﷺ﴾ على راحلته وقد أردف صفية بنت حيي فعثرت ناقته فصرعا جميعا فاقتحم أبو طلحة فقال: يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال:عليك المرأة ..)**[1].

وهذا الحديث يتبين فيه رفق النبي ﴿ﷺ﴾ بأزواجه حيث عثرت به الناقة فسقطا جميعاً هو وزوجه صفية بنت حيي رضي الله عنها، ومع ذلك فقد نسي نفسه لما جاء أبو طلحة ليعينه، فأمره ﴿ﷺ﴾ أن يحسن إلى زوجه صفية ويصلح شأنها.

٤/**عن أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾ قال:رأيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ يحوز لصفية أو يحوي لها ثم يضع لها رجله حتى تركب)**[2].

يحوّي لها: أي يسترها بعباءته ﴿ﷺ﴾ من خلفه.

---

[1] صحيح البخاري، ج٣:ص١١٢٢،كتاب الجهاد والسير، باب ما يقول إذا رجع من الغزو.

[2] مسند أبي يعلى، ج٦:ص٣٧١، قال المحقق حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

وهذا المثال قمة في التواضع من سيد الخلق ﷺ حيث يضع ركبته ورجله لتصعد عليها زوجه إلى بعيرها فما أحسن هذا الخلق الرفيع ولله در تلك النفس البشرية التي انزاحت عنها كل صفات الكبر والخيلاء.